

تدبيرية

«الخبز»

السما صحرافية صريحة، نجومها كمصابيح طرية وكثبان الرمال كأفكار حدث ذي نعمة، يمسح جسدها نسيم حريري فيبيع الشوق ملثاعاً سرمدياً بلا نهاية.. وتتصاعد دخان سيجارة محدثي وهو يريق بقايا فنجان الشاي على الرمل ويرسم دوائر يعود الثقب الذي اشعل به سيجارته، ويحلق في الفضاء كمن يريد ان يقتنص الكلمات المناسبة للماء بعض الفراغات التي أحسست أنه يخفي شيئاً وراءها...
- لا داعي، لذكر أشياء لا تود ذكرها...
نظر إليّ كمن يود أن يعاتبني فأمسك، وهو لا زال يواصل تحريك الرمل المبتل بعود الثقب، رأسه مطرق بين كتفيه، ذكرني بلوحة لرسم مكسيكي،

جسد تلفه دوائر تتباعد وتتباعدها لتتحقق مفاوز لونية ثم ترتد وترتد لتتلاشى في الجسم المكور.. قبة المكسيكي.. الدوائر هنا تتباعد وتتباعدها دون أن ترتد، كالمجال المغناطيسي تجذبك إلى الداخل دون أن تدرك لماذا، خاصية غامضة وكذلك هو.. لا زال مطرقاً برأسه يرسم دوائر على الرمل المبتل من بقايا فنجان الشاي فتتحول إلى مجال مغناطيسي يجذب إلى الداخل دون أن تدرك لماذا...
يوم خريفي في مدينة ساحلية، ورطوبة يشوبها غياب الشمس نعومة ورخاوة كشال حريري يلتف علي جيد أتلع، كنت أسير وحيداً بلا هدف في الصباح، حيث لم يعد لي عمل.. أول يوم من تركي لعمل لم اتناسب معه

اطلاقاً.. وسكت، أحسست بأنه سيبحث عن كلمة مناسبة ليملأ الفراغ.. نعم.. مررت على مكتبه.. انه صديق، نظر إليّ دون أن يتكلم.. يدها تكلمتا.. نقل كتباً من مكان إلى آخر ثم وضع كتباً عليها ونقلها إلى مكانها الأول ثم عاد ونقلها مرة أخرى ورأسه يتلفت ونظراته تتسلقني كمن يحاول أن يكلم شخصاً ومعياً خلفي...
... نعم... هل جازوا... نعم...
تركتني وذاب...
الجو خريفي، ليس لديك عمل!! هذا شيء... ولكن أن لا تعرف أين تسير، إلى الأمام... الرجوع... التسمر...!!
حينما لا تعرف السباحة لأنك صحراوي... ضب... تعيش

فوق أمواج صلده، وجلدك حرشفي متصلب وتشررب رطوبية الهواء الصباحي قبل الشروق.. شيء رائع.. ولكن حينما تكون الأمواج حقاً من السبيلة، فهذا شعور آخر تحس بالاختناق وبالماء يتدفق إلى رنتيك ويلتصق الملح على جدرانها.. وتعيقك معدتك الملأى بالماء الثقيل من الحركة والتنفس.. تماماً كالشعور حين تحشر بيوم قانظ بين مئات المراجعين أمام موظف الجوازات هناك في المدينة الساحلية..
.....
البحر موضوع عريض لكل الشعراء لكل الرسامين لكل القصاصيين.. ولكنه للصيادين شيء آخر، امتداد للموت والحياة.. وأنا.. كهؤلاء الصيادين الفجر يولد منه النهار... ومن البحر السمك... وأنا... ضب أتطلع إلى اليابسة لأحفر جحراً أمارس فيه عادة الحياة.
.....
أحسست أنه اختزل كلاماً كثيراً أثناء حديثه، يدها امتدتا خلفه وقدماه غاصتا في الرمل.. جسمه مسترخ تماماً... وعود الثقب مغروز بالرمل المبتل... انه ضب حقيقي.. لا زال من الزواحف، لن يتطلع للمغامرة مرة أخرى.. لن يعرف البحر امتداداً للموت أو الحياة.. سألته سأقول له هذا...
- اسمع.. أعرف ماذا تفكر به الآن... كلا... هناك ما يسمى بعنصر التشويق.. أنا ضب... ضب... ولكنني سأجمع هواء الصحراء العار وسأكتف كل جزئي من بخار الماء وأحيله إلى يم... يم... أتسمع... يم!!

عبد الجبار الميحي

